

هل تُصنع المشاعر تحت عدسات الكاميرا؟

"هل يُصنع الحب تحت عدسات الكاميرا؟ قراءة نقدية في برنامج "قسمة ونصيب".

هل أغلقت الحياة الواقعية أبوابها في وجوهنا لنتجاوز كل سبل التعرّف التقليدية ونشد الرحال للبحث عن شريك العمر في جزيرة معزولة أمام عدسات الكاميرا

هذا التساؤل المثير للجدل يجد تجسيده الحي اليوم في برنامج الواقع الشهير "قسمة ونصيب"، الذي قدم فكرة أعادت تعريف طرق التعرّف التقليدية؛ بجمع عدد من الشباب والشابات من مختلف الدول والجنسيات العربية في فيلا بجزيرة معزولة في تركيا، ومنحهم فرصة للتعارف اليومي والمباشر ، مما يضع المشاهد في رحلة مشوقة لمتابعة كيف يمكن لهذه الظروف . أن تقرب قلوبًا وتصنع نصيبًا جديد

هذا الرهان لم يمر على مشاعر المشاهدين مرور الكرام، بل انعكس سريعًا على أرض الواقع الرقمي من خلال موجة تفاعل تخطت كل التوقعات. فمع كل حلقة تُعرض، تتحول مناقشات البرنامج إلى "تريند" يتصدر المنصات الرقمية، لنجد أنفسنا أمام مجتمع إلكتروني كامل لا يكتفي بالمشاهدة فقط، بل يحلل التفاصيل ويناصر الثنائيات بشغف كبير، محوّلًا لقطات البرنامج العفوية ومواقف الغيرة والتعارف إلى مقاطع تجتاح منصات التواصل الاجتماعي

ولكي نفهم أيضًا أبعاد هذا العمل وعوامل جاذبيته، يجب أن ننظر إلى ما وراء الكواليس؛ حيث تقود البرنامج وتقدمه الإعلامية اللبنانية الموهوبة (ريتا حرب)، التي تضفي بحضورها (Volkan) طابعًا حواريًا متزنًا يضبط إيقاع العلاقات المتوترة بين المشتركين. أما الرؤية البصرية المسؤولة عن نقل تفاصيل هذه الجزيرة، فنقع تحت إدارة المخرج التركي فولكان غلوتكين (Gültekin)

وبإنتاج مشترك تقوده شركه لبنانيه بالتعاون مع شركات إنتاج تركية، مما منح العمل صورة بصرية لافتة تحاكي المسلسلات الرومانسية التركية ،

"Kismetse Olur" لكن "قسمة ونصيب" بتركيبته الحالية ليس ابتكارًا عربيًا خالصًا، بل هو النسخة العربية الرسمية من البرنامج التركي الشهير

وهذا الامتداد العالمي يوضح أن صناع النسخة العربية لم يبدأوا من الصفر، بل استندوا إلى "فورمات" عالمي مدروس ومجرب مسبقًا، يدرك تمامًا كيف يلعب على أوتار الفضول البشري وصناعة الإثارة والدراما التلفزيونية الجاذبة للجمهور

وإذا عقدنا مقارنة بين العاملين، (Star Academy) "ومن هنا، لا يمكننا الحديث عن هذه الفكرة دون استدعاء الأب الروحي لبرامج الواقع في العالم العربي: برنامج "ستار أكاديمي (سنجد أننا أمام الجينات الفكرية نفسها ولكن بملامح زمنية مختلفة؛ حيث كانت بدايات "ستار أكاديمي" في أوائل الألفية (عام 2003 وما بعدها

حيث جمع البرنامج الشباب والصبايا تحت سقف "الأكاديمية" بهدف فني ظاهري هو صناعة النجوم، ولكن المحرك الأساسي لتعلق الجمهور وشغفهم بالبرنامج كان مراقبة قصص الحب والغيرة والصداقات والخلافات اليومية التي تنشأ بين الطلاب خلف الكواليس. واليوم، يأتي "قسمة ونصيب" ليجتصر الطريق تمامًا؛ حيث ألغى الغطاء الفني أو التدريبي، وجعل "البحث عن الحب والارتباط" هو الهدف المباشر والمعلن منذ اليوم الأول

ولكن خلف هذا البريق البصري الجذاب والأرقام المليونية، لا يمكن للمشاهد الواعي أن يتغاضى عن الثغرات النقدية التي تشوب العمل على المستويين الفني والاجتماعي

وأولى هذه الملاحظات تكمن في تصادم فكرة البرنامج مع معتقدات وقيم المجتمع الشرقي؛ فالبرنامج يقدم نموذجًا للتعارف السريع المبني على العزلة تحت سقف واحد، وهو أسلوب يراه كثيرون غريبًا على ثقافتنا العربية التي تحيط الزواج بخصوصية وحرمة اجتماعية وعائلية، مما يجعل البرنامج بعيدًا عن الواقع الذي يحاول تمثله

ومن الناحية الفنية، يمكن ملاحظة أن العمل يقع أحيانًا في فخ افتعال الدراما وتوجيه المشاعر؛ فالمشاهد يلمس خلف الكواليس يدًا خفية للمونتاج وصناع العمل تقوم بتوجيه الأحداث وتضخيم ردود الفعل لضمان تصدر "التريند"، مما قد يفقد البرنامج جزءًا من الطابع العفوي ويحوّله إلى عمل موجه تجاريًا

وهذا التدخل لا يقف عند حدود التسلية، بل قد يؤدي إلى تسطيح العلاقات الإنسانية؛ فالبرنامج يختزل المشاعر الإنسانية العميقة في مظاهر خارجية أو غيرة لحظية، وكأن الارتباط بشريك العمر عملية سريعة بمجرد تبادل بضع كلمات أمام المسبح

خلاصة القول، ومن رأيي الشخصي، أرى أن المفارقة الأكبر تتمحور في النتيجة التي تنتهي إليها هذه التجربة؛ ففي كثير من الحالات، يدخل الشباب والشابات إلى هذه الجزيرة بحثًا عن نصفهم الآخر، لكنهم يغادرون دون أن تستمر تلك العلاقات بعد انتهاء البرنامج. فخلف الشاشات والوعود الوردية تنطفئ الكاميرات ليعود معظمهم إلى حياتهم الواقعية، وكأن تلك المشاعر لم تكن سوى سيناريو مؤقت انتهت صلاحيته بانتهاء المونتاج

فهم لا يغادرون البرنامج بنصيبيهم المنشود بقدر ما يخرجون محملين بـ"تريندات" مؤقتة ومشاحنات يومية، لتظل الحقيقة، من وجهة نظري، أن الحب الصادق لا يُصنع في كواليس الاستوديوهات، ولا يولد تحت ضغط الكاميرات.